دلالة الإنسان
في نهج البلاغة

The Conceptual Meaning of "human" in Nahjul-Balagha

أ. م. د. زهور كاظم زعيميان
الجامعة المستنصريّة/ كليّة التربية الأساسيّة–
قسم اللغة العربيّة

Asst. Prof. Dr. Zahoor Kazem Zaimian
Mustansiriya University, Faculty of Basic Education,
Arabic Department

ملخص البحث

البحث محاولة لتسليط الضوء على كلمة إنسان في نهج البلاغة، ذلك السِّفر الأخصب دلاليًّا بعد القرآن الكريم والسُّنّة النبويَّة الشريفة، وقد جاءت كلمة الإنسان في نهج البلاغة بدلالات مختلفة، وكذلك وردت في القرآن الكريم، فهي لآدم المخلوق الأول وهي للكافر أيضًا.

وقد اخترت تعدد دلالات الإنسان وورودها في سفر عليّ (عليه السلام)، ليعكس محور الإنسان في فكره (عليه السلام)، وقد أبدع في القدرة التعبيريّة على دلالة الإنسان. والبحث هو محاولة للكشف عن المعنى المراد إبلاغه للمتلقي من فحوى نهج البلاغة لبيان كلمة (الإنسان) دلاليًّا، وهو الهدف من هذه الدراسة.

وقد وضّح البحث ورود كلمة الإنسان في نهج البلاغة؛ إذ وافقت أقواله (عليه السلام) ما جاء في القرآن الكريم؛ ولمَّا تعددت دلالة الإنسان في القرآن الكريم استعملت بالمعاني القرآنية نفسها في النهج.

الكلمات المفتاحيّة: نهج البلاغة، عليّ، الإنسان.

Abstract

The research attempts to highlight the word "human" in Nahjul-Balagha, which comes after the holy Quran and Prophetic Sunnah. The word "human came in Nahjul-Balagha with many different denotations, it came for Adam the first creature also for the unbeliever. I chose this subject to reflect human-centered idea in his thought. Since human denotation multipled in the holy Quran, it was used in the Same Quranic meanings in Nahjul-Balagha.

Keywords:

Nahjul-Balagha, Ali, The human.

المقدّمة

الحمد لله على ما أخذ وأعطى، وعلى ما أبلى وابتلى، الباطن لكلّ خفيّة، الحاضر لكلّ سريرة[1]، والحمد لله الذي هدانا لنكتب فيما قال يعسوب الدين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) في بحر البلاغة الذي لا ينضب.

إنَّ نهج البلاغة كتاب إنسانيّ بكلّ ما لهذه الكلمة من مدلول، وهو وثيقة لباب مدينة العلم، ومثال لأروع صوَر البلاغة، حديث على الرغم من عتاقته، شَغَل الباحثين على مر العصور بعد أن جمعه الرضيّ (رحمه الله)، وعلى الرغم من ترامي أشواط البحث فيه لكنّه ما زال عذباً ينهل من رافده الواردون.

فلغة الإنسان مرآة تعكس أفكاره، فكيف إذا كان الفكر يتعلّق بفكر الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام).

وهذا البحث محاولة لتسليط الضوء على كلمة إنسان في نهج البلاغة، ذلك السِّفر الأخصب دلاليّاً بعد القرآن الكريم والسنّة النبويّة الشريفة، وقد جعل الإمام عليّ (عليه السلام) من الكلمة جسداً يختلف مظهره باختلاف ثيابه، وقد جاءت كلمة الإنسان بدلالات مختلفة، وكذلك وردت في القرآن الكريم، فهي للمخلوق الأوّل، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإنسان أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾[2].

وقال عزّ وجلّ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإنسان حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾[3].

وذكر تسلسل خلقه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان مِنْ

سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾[٤]، وهي للكافر في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإنسان مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾[٥].

وقد اخترت تعدّد دلالات الإنسان وورودها في سفر عليّ (عليه السلام)، وقد أبدع في القدرة التعبيريّة عن معنى الإنسان. والبحث هو محاولة للكشف عن المعنى المراد إبلاغه للمتلقّي.

وتعد دراسة دلالة الألفاظ من أهم مجالات المعنى وأكثرها خصوبة وتعقيداً، والتعمّق في دلالة اللفظة يفتح النوافذ المغلقة فتظهر بواطن الكَلم.

إنّ من يتصفّح كتاب نهج البلاغة يجعله يتفهّم الماهيّة الحقيقيّة للمستوى البلاغي لهذا الكتاب، ويتفهّم مدى التعمّق المائز للإمام عليّ (عليه السلام) في تدبّر الألفاظ القرآنيّة ويكشف مدى استيعابه للغة وبواطنها.

فللغة أثرها الحاسم في تشكيل رؤيته، وهي ترجم مفاهيمه العميقة في توضيح الألفاظ القرآنيّة، فيترتّب على ذلك صورة مفصّلة للكلمة الواحدة، كما في توضيحه للخليقة البشريّة الأولى، ولا يملك المرء عند قراءة خُطبِه إلّا أن يفكّر في أنّ الإمام عليّ (عليه السلام) قد كيّف بعناية وموضوعية بالغة هذه الألفاظ لتطابق ما قرّره في أن يكوّن مفاهيم مفتاحيّة للقرآن الكريم.

وقد جمع الجاحظ (ت٢٥٥هـ) مئة كلمة للإمام عليّ (عليه السلام) وسمّاها بـ(مطلوب كلّ طالب من كلام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب)، وقال عنها: «كلّ كلمة منها تفي بألف من محاسن كلام العرب»[٦].

وفي عملي هذا كان الأمل يحدوني بأن يكون بإمكاني الإسهام بشيء مخصّص باختيار لفظة واحدة تمثّل الإنسان من أجل توضيحها، ولا أدّعي بأنّه أمر ممكن أو يسير؛ يقول د. كاريل: إنّه لو أراد أن يضع رسالة عن الإنسان لاستغرقت عشرات المجلدات الضخمة[٧].

وقد وقع البحث في مقدمة وفقرات، حاولت فيها اختصار أكداس ضخمة من المعلومات تعقبها الخاتمة، التي احتوت نتائج البحث، وختم البحث بقائمة المصادر، واعتمدت المنهج التحليلي الدلاليّ الوصفي.

أسأل الله أن يحظى بقبول جهدي فهو لوجهه الكريم.

التمهيد

الإنسان في اللغة

قال ابن فارس: «(أنس) الهمزة والنون والسين أصل واحد، وهو ظهور الشيء، وكلّ شيء خالف طريقة التوحّش. قالوا: الإنس خلاف الجنّ، وسمّوا لظهورهم. يقال: آنست الشيء: إذا رأيته، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء: ٦]... والعرب تقول: كيف ابن إنسك؟ إذا سأله عن نفسه. ويقال: إنسان وإنسانان وأناسي»[٨].

فالعلاقة هنا بين الإنس والظهور، فقد ورد لفظ الإنسان في القرآن الكريم مع الجنّ على وجه التقابل،

وملحظ الإنسيّة فيه بما تعني نقيض التوحّش والتستّر، فالجنّ خفيّة غير مرئيّة ولا تخضع للصفات الماديّة، فـ«الجيم والنون أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ السَّتْرُ وَالتَّسَتُّر»[٩].

أمّا الإنسان، فقد نال شرف التكليف بإعمار الأرض الماديّة التي تناسب خلقته الماديّة الظاهرة، وربما لا تصحّ مقولة الدكتور كارل ماركس بأنّ الأشياء تبدو واضحة من خلال نقيضها مع الجنّ والإنس[١٠]؛ لأنّ معنى الخفاء في الجنّ يبقيها في مرتبة الغيبيات والخفاء عن الإدراك والتصوّر.

ومن دلالتها على الظهور في قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾[١١] ((أي أحسست والنار على بُعد لا تحسّ إلّا بالبصر؛ لذا فسّره بعضهم بـ «رأيت»))[١٢].

وممّا كتبه لسلمان الفارسيّ (رضوان الله عليه) محذّراً إيّاه من الدنيا: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا، قَاتِلٌ سَمُّهَا، فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا، وَضَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا لِمَا أَيْقَنْتَ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا، وَكُنْ آنَسَ مَا تَكُونُ بِهَا، أَحْذَرَ مَا تَكُونُ مِنْهَا»[١٣]، فالأنس يقابل الوحشة، ومن دعائه (عليه السلام): «اللَّهُمَّ إِنَّكَ آنَسُ الْآنِسِينَ لِأَوْلِيَائِكَ»[١٤]. أي أنت أكثر أُنساً بأوليائك وأهل طاعتك، ((وكان القياس أن يقول: إنّك آنس المؤنسين؛ فأطلق اسم الفاعل على اسم المفعول مجازاً مرسلاً فجعله آنس الأنسين مبالغةً؛ لأن قلوب الأولياء أشدّ أُنساً بالله من كلّ أليف، فالله آنِس الموجودات عندها.. (وآنسهم ذكرك) أي: أنّ

ذكرك في قلوبهم وعلى ألسنتهم هو أنسهم من الوحشة والغربة والشعور بالسكون والطمأنينة))[١٥]؛ فقد تجسّد معنى السكون والطمأنينة بكلمة آنِس.

وفي بيانه (عليه السلام) أنّه لم يترك الخلافة خوفاً من الموت، بل لأمر إلهي قال: «وَاللهِ لَابْنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ، بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَأَضْطَرَبْتُمُ اضْطِرَابَ الْأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ البَعِيدَةِ»[١٦]؛ فآنس بالموت: أي لم يستوحش منه، ((وفيه فنّ من فنون البديع؛ وهو الالتفات، إذ مقتضى الأصل أن يقول: ولكنّه قد اندمج على مكنون علم لو أباح به... إلّا أنّه أراد من وراء هذا الالتفات أن يترجم التقرير والتعبير المباشر لما انفعل به؛ ليولجه إلى ضمير المخاطب))[١٧].

ومنه وصفه (عليه السلام) لأصحاب القبور: «جِيرَانٌ لَا يَتَأَنَّسُونَ وَأَحِبَّاءُ لَا يَتَزَاوَرُونَ»[١٨]؛ وأيّ مشهد مؤلم رسمه بألفاظه ليصحب القارئ إلى المصير الحتمي بوحشة الوحدة مع وجود الجيران والأحبّاء، فتجسّدت دلالة الوحشة بنفي (الأنس)، فهم ((لا يتآلفون ولا يستأنس بعضهم ببعض))[١٩].

وفي لسان العرب تعدّدت دلالات الإنسان، فكانت الإنسان: «معروف، أو من يُثير الجنَّ، أو آدم، وقد يكون الكافر، واستدلّ على ذلك بقوله عزّ وجلّ: ﴿وَكَانَ الْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[٢٠] عنى بالإنسان هنا الكافر، ويدلّ على ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾[٢١].

ولا أجد استدلاله في موضعه؛ لأنّ الآية الثانية تخصّ جدال الذين كفروا بالباطل لدحض الحقّ، وفي الآية الأولى وصف للإنسان عن طريق الخبر بأنّه كثير الجدل.

وقيل بأنّ سبب تسميته من النسيان، وروي عن ابن عباس، أنّه قال: ((إنّما سُمّي الإنسان إنساناً؛ لأنّه عهد إليه فَنَسِيَ))[٢٢]؛ والنسيان يكون نعمة في كثير من الحالات، كحالات الألم والفراق، وإن كان نقمة في مجال التعلّم والخبرات والفرح.

وفي تعريف الإنسان الاصطلاحي، قال الجرجانيّ: «الإنسان: هو الحيوان الناطق»[٢٢].

وهذا القول منسوب للفيلسوف الإغريقي أرسطو، والمقصود بالمنطق الإنساني الفكر الراشد، فقد جاء في تعريف المنطق: ((آلة قانونيّة تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر))[٢٣].

وقد تكون صفة النطق ملازمة للحياة (حيوان، ناطق)، فلا ينطق الإنسان الميّت كما لا تنطق الأرواح، وكذلك لا تنطق الأرواح يوم القيامة؛ لأنّ النطق ماديّ لا يحصل إلّا باللسان، قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾[٢٥] فلمّا كانت الأصنام غير حيّة فهي لا تنطق، وقال تعالى وهو يصف الإنسان يوم القيامة: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾[٢٦]؛ فهو فقد الحيوانية الناطقة، جاء في الكشّاف ((أو جعل نطقهم كلا نُطق؛ لأنّه لا ينفع ولا يسمع))[٢٧]؛ والكلام يكون مخفيًّا بلا صوت، قال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾[٢٨]، و((الهَمْس:

الخفيّ من الصوت))[٢٩].

ودلّ النطق على الماديّة الحيوانية بأن لا يوصف الله تعالى بالناطق جاء في تفسير الطبرسي: ((والنطق إدارة اللسان في الفم بالكلام؛ ولذلك لا يوصف سبحانه بأنّه ناطق)) فصلت:٢١ فتبيّن لنا أنّ هذه الآية الكريمة حيث حساب الأنفس بلا أعضاء، بلا لسان بلا نُطق، وكذلك بعد متابعة لعشرات الحالات من العائدين من الموت الوشيك[٣٠] ثبت أنّ الكلام هناك بالتحاور بلا صوت.

والحقّ أنّ الحيوان يأنس بأمثاله أيضاً، وهو ينسى أيضاً، لكنّي استبعد الكفر والغرور في الحيوان، ولم يصفه القرآن الكريم بما وصف به الإنسان؛ وهو ما دعا أمير المؤمنين (عليه السلام) أن يخاطب معاوية بـ (أيّها الإنسان) كما سنرى في الفقرة الثانية من البحث.

((ويقال: كيف ترى ابن إنسك. وإنسك أي نفسك...ولَبِسَ المُؤنِساتِ أي الأسلحةَ؛ لأنّهنّ يُؤنِسنه ويُطامِن قَلْبَه))[٣١].

وعرّف أحد الباحثين المحدثين الآدميّ، بقوله: ((وهو الإنسان))[٣٢].

وعلّل الإمام علي (عليه السلام) عجز الخلق عن وصف الله سبحانه وتعالى لعجزهم عن وصف أنفسهم قائلاً: ((**كيفَ يَصِفُ إلهه مَنْ يَعجَزُ عن صفةِ مخلوقٍ مثله**)) أي عجز عن إدراك صفة لمخلوق مثله، كيف يدرك ذات الله وصفاته[٣٣].

وكانت العرب القدماء تسمّي يوم الخميس مؤنسًا؛ لأنّهم كانوا يميلون فيه إلى الملاذ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال لي عليّ (عليه السلام): «**إنَّ الله -تبارك وتعالى-**

خلق الفردوس يوم الخميس وسمّاها مؤنس»[٣٤].

والأنس: الطمأنينة والبهجة والارتياح فأنس به أي ألفه وسكن قلبه به[٣٥].

تصريفه

الإنسان أَصله إِنْسِيانٌ؛ لأَنّ العرب قاطبة قالوا في تصغيره :أُنَيْسِيانٌ، فدلّت الياء الأَخيرة على الياء في تكبيره إِلّا أَنّهم حذفوها، والألف فيه فاء الفعل؛ وتقدير إنسان فعلان[٣٦].

والإنسيّ: منسوب إلى الإنس، كقولك: جنّي وجن وسِنديّ وسِند، وقال الفرّاء: ((العربُ تقولُ: الإنسان، إلّا طَيِّئًا؛ فإنّهم يجعلون مكانَ النونِ ياءً، فيقولون: إِيْسَانٌ، ويجمَعُون: أَيَاسِينُ))[٣٧].

جمعه

قيل فيه: ((أناسيّ: جمع إنسان في مذهب سيبويه، وجمع إنسيّ في مذهب الفرّاء والمبرّد والزجّاج))[٣٨].

وقد يُجمع إنسان: إناسين، كما يجمع النَشْيان نشايين، فإن قيل: ((أناسيّ جمع واحده إنسيّ، كأنّ من جمع ذلك كذلك أسقط الياء التي بين عين الفعل ولامه))[٣٩].

والإِنْسُ: جماعة الناس، والجمع أُناسٌ، وهم الأَنَسُ، تقول: رأَيت بمكان كذا وكذا أَنَساً كثيراً أَي ناساً كثيراً، وقيل: أناسيّ جمع إنسان لكنّهم أبدلوا الياء من النون، كقوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾[٤٠]، وتكون الياء الأولى من الياءين عوضاً منقلبة من النون، وإن شئت جعلته إنساناً ثم جمعته أناسيّ، فتكون الياء عوضاً من النون، قال اللحياني: في لغة طيء ما رأيت ثم إيساناً أي إنساناً[٤١].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾[٤٢]؛ النَّاسُ ههنا أَهل مكّة الأُناسُ، أمَّا الرجل فهو النبيّ محمّد (صلى الله عليه وآله)، وقد نقل الزمخشريّ لقبه الذي كان يلقّبه به الكفّار بـ: «يتيم أبي طالب»[٤٣]، وكذلك نقل الرازيّ والقرطبيّ والطبرسيّ اللقب نفسه في تفسير الآية.

والإنسان هو الكائن الحيّ المفكّر[٤٤].

أمَّا الأنام، فهي من فرائد القرآن الكريم، ووردت مرّة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾[٤٥]، وهي ما ظهر على الأرض من جميع الخَلْق[٤٦] أو الدواب بحسب ما ذكر الزمخشريّ»[٤٧].

والخلق أعمّ من الأنام، فهو لكلّ مخلوق حيّ وغير حيّ في الكون، من الإنس والجان والسموات والأرض وما بينها وما خلفها، أمّا الأنام، فهم من خصّ خَلقَهم للأرض.

وجاء في المعجم الوسيط عن الناس: ((اسم للجمع من بني آدم، واحده إنسان من غير لفظه))[٤٨].

والناس أصله الأناسُ فحذفت الهمزة فقيل (الناس)[٤٩].

الإنسان في نهج البلاغة

ذكرت كلمة (إنسان) في مواضع عدة في نهج البلاغة، ونحاول أن نحتمل الصعب المستصعب في كلمة الإنسان للإيصال إلى دلالتها لعلّنا نكون من عباد الله المؤمنين الذين امتحن الله قلوبهم للإيمان قال: «إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ وَلَا يَعِي حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ وَأَحْلَامٌ رَزِينَةٌ»[٥٠].

وقد خاض أمير المؤمنين (عليه السلام) في علوم الإنسان؛ وقد قال كاريل: ((فعلينا أن ندرك بوضوح أنّ علم الإنسان هو أصعب العلوم جميعًا))[٥١].

إنَّ ما يذكره الإمام (عليه السلام) في خطبه وكلامه هو رسالة إلى الإنسان، وهو يخاطبه بما يناسب عقله وفهمه، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أَنْ نُكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ»[٥٢].

وقد ورد لفظ الإنسان في القرآن الكريم في عشرات المواضع، وهو اسم لسورة من سور القرآن الكريم، وعند تتبّع اللفظة في القرآن الكريم تبيّن أنّها وردت بين دلالتي المخلوق البشري الأوّل، والإنسان بصفات لا مدح فيها كالكافر، والعجول، والمغرور؛ لذا نلحظ ورود هذه اللفظة في خطب القرآن الناطق الإمام عليّ (عليه السلام) بالدلالات القرآنيّة، فهي للمخلوق الأوّل، أو لمن وصف بالغرور والعجلة وغيرها من الصفات السيّئة.

أوّلاً: ذِكر كلمة الإنسان لأوّل مرة في خطبة (صفة خلق آدم «عليه السلام»)

قبل أن أبدأ بكتابة هذا الجزء من البحث، كنت أدرك صعوبتَه، بل استحالة استيفائه، لكنّني شرعت فيه وأنا على يقين بعجز من سبقني عن إدراكه، فالقوانين الطبيعيّة المرتبطة بالإنسان هي الأكثر غموضاً في هذا الكون، فكلّنا لا نعلم ماهيّة ذاتنا الداخلية.

ونهجُ البلاغة مجموعة من النصوص، كلّ نصّ منها يمثّل هدفاً

يتضح من ترابط أجزائه وتماسك وحداته ثم يتجلّى المعنى المقصود، ففي قوله (عليه السلام) وهو يصف خلق الإنسان بدقّة متناهية:

«ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الْأَرْضِ وَسَهْلِهَا وَعَذْبِهَا وَسَبَخِهَا تُرْبَةً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ، وَلَاطَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ، فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ وَوُصُولٍ، وَأَعْضَاءٍ وَفُصُولٍ، أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ، وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ، وَأَمَدٍ مَعْلُومٍ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ، فَمَثُلَتْ إِنْسَاناً ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا، وَفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا، وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا، وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْأَذْوَاقِ وَالْمَشَامِّ، وَالْأَلْوَانِ وَالْأَجْنَاسِ، مَعْجُوناً بِطِينَةِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ، وَالْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ، وَالْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ، مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَالْبَلَّةِ وَالْجُمُودِ»[٥٣].

تبدأ الخطبة بالـ (الحمد)، وهو ما بدأ به معظم خُطَبِه ليصل إلى تفرّده جلّ وعلا بالخلق، فعظمة المخلوق تدلّ على عظمة الخالق، وإعجاز الإتيان به من غير الله ذلك الإنسان، مدلول لدال، مَنْ عرفه فقد عرف ربّه، قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[٥٤]، وقد تحدّث الإمام (عليه السلام) عن غيبيات في بواطن خلق الإنسان من دون جهاز حديث.

المرحلة الأولى: التراب

حزن الأرض مرحلة التراب حيث يتكوّن التراب علميًّا من تحلّل الكائنات الميّتة وبقايا النباتات والحيوانات التي تحلّلت، وكلام

الإمام عليّ (عليه السلام) يوافق القرآن الكريم ويطابق كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قَالَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله): «إِنَّ الله تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الأَرْضِ، فَجَاءَ مِنْهُمُ الأَحْمَرُ وَالأَبْيَضُ وَالأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ وَالحَزْنُ وَالخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ»(٥٥).

وقوله: (إنساناً) قصد به المخلوق الأوّل أي النبيّ آدم (عليه السلام)، يدلّ عليه عنوان الخطبة، وقد ذكر الإمام عليّ (عليه السلام) خَلْق أوّل إنسان من جسمٍ وروح بأن خلق الجسم قبل الروح، وفي قوله (عليه السلام): إنّه جمع من طين الأرض مختلفٌ ألوانه دليل على أنّه الأوّل من جنسه على وجه الأرض.

وبحسب التسلسل فالتراب يسبق النطفة، قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾(٥٦).

فهي البداية حيث لم تتكوّن النطفة بعد، وفصّل القرآن الكريم هذا التسلسل في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾(٥٧).

ويحتمل أن يكون الخلق الأول

خلق آدم وعيسى (عليهما السلام)، ثم كان خلق بقيّة الناس من نطفة.

فالخطبة تتحدّث عن خلق الإنسان الأوّل «آدم»؛ لأنّه ذكر مراحل تكوّن الجنين في موضع آخر بقوله: «أَمْ هذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْحَامِ وَشُغُفِ الأَسْتَارِ نُطْفَةً دِفَاقاً، وَعَلَقَةً مِحَاقاً، وَجَنِيناً وَرَاضِعاً، وَوَلِيداً وَيَافِعاً، ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حَافِظاً وَلِساناً لَافِظاً وَبَصَراً لاَحِظاً، لِيَفْهَمَ مُعْتَبِراً»[٥٨].

وجاء في لسان العرب: ((وفي حديث علي، [عليه السلام]: نُطْفَةً دِهاقاً وعَلَقَةً مُحاقاً أي نطفة قد أفْرغت إفراغاً شديداً، من قولهم أدْهَقْت الماء أفْرَغته إفراغاً شديداً، فهو إذاً من الأَضداد))[٥٩]. وأرى أن نطفة دهاقاً تعني ما ذكره من شدة تلازب الحجارة بعضها في بعض[٦٠]، فالنطفة من تلازب ماء الرجل ببيضة المرأة.

وذكر كلمة النطفة لمّا عزم على حرب الخوارج، وقيل له: إنّهم قد عبروا جسر النهروان مصارعهم دون النّطفة، والله لا يفلت منهم عشرة ولا يهلك منكم عشرة، قال الشريف: يعني بالنطفة ماء النهر، وهو أفصح، كناية وإن كان كثيراً جمًّا، ولمّا قتل الخوارج قيل له: يا أمير المؤمنين، هلك القوم بأجمعهم! قال (عليه السلام): كلاّ والله إنّهم نطف في أصلاب الرّجال وقرارات النّساء كلّما نجم منهم قرن قطع، حتّى يكون آخرهم لصوصاً سلاّبين[٦١]، والنطفة كمية قليلة من السائل كالتي في آخر الكأس، فهي تعني في اللغة العربية كميّة صغيرة جداً، ومن خلال العلم الحديث عرفنا

بأنّ ملايين الحيوانات المنوية خلال القذفة الواحدة لا يلقّح البيضة إلّا حيوان منوي واحد، وهو ما يشير إليه القرآن الكريم بالنطفة (أي كمية ضئيلة من السائل)، وما يشير إليه الإمام علي (عليه السلام) بكثرة الخوارج وقلة من يفلت منهم.

أمّا بعد النطفة، فهي «العلقة»، ولم ترد في خطبة الإمام عليّ (عليه السلام)، لكنّه ذكرها في موضع آخر، قائلاً: «**فإنّ العلقة تأخذ بهدوئها من الدم ما لا تأخذه البعوضة باضطرابها وفرط صياحها**»[٦٢]. فاستعمل المعنى الآخر للكلمة، قال شارح النهج عنها: ((العلقة: دويبة في الماء تمصّ الدم))[٦٣].

أمّا في القرآن الكريم، فمرحلة العلقة تأتي بعد النطفة، حيث تتعلّق بالمشيمة ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً**﴾، وقد ترجمت العلقة التي تتكون في مراحل الجنين بأنها: خثرة دموية باللغة الانجليزية والفرنسية والفارسية، وهي شبيهة بطفيلي العلق[٦٤]، واشتقاقها من الفعل «عَلَق»، ويمكن أن تحمل معناه، وهو التعلّق والالتصاق، لكنّ المترجمين استعملوا كلمة خثرة دمويّة، واعترض بوكاي على ترجمتهم واقترح أن تكون ترجمتها (الشيء المتعلّق)؛ لأنّ العلقة لا تتوقّف عن التعلّق بالمشيمة مدّة ثمانية أشهر ونصف[٦٥].

وبهذا يكون للعلقة ثلاثة معان؛ الأول هو الدودة التي تتغذى على الدم، والثاني الشيء الذي يتعلّق، ونحن نعلم تعلّق الجنين بجدار الرحم حتى النهاية، والثالث وهو الذي اعترض عليه الدكتور وليام،

وهو الخثرة الدموية، وعدّه خطأ علميًّا في القرآن الكريم، وهو يعود إلى الترجمة غير الدقيقة للآية الكريمة[٦٦].

في التوراة

فكرة مراحل خلق الإنسان ذكرت في الكتب السماوية، ومنها التوراة، ففي سفر التكوين من العهد القديم – التوراة – كان تسلسل خلق الإنسان بعد خمسة أيّام غير معلومة المدّة والطول، قد تكون ملايين من السنوات الأرضية، فالكائنات الحيّة خلقت بالتسلسل، فكان للحيوانات المائية أولاً، ثم الطيور، ثم أخرج من الأرض الكائنات الأخرى، من بهائم وزواحف ووحوش، ثم خُلق الإنسان فتسلّط على من سبقه من المخلوقات الحيّة على كلّ حيوان يتحرّك على الأرض[٦٧].

وهذا التسلسل ذكره القزويني (ت٦٨٢هـ)، فذكر أنّ أوّل المخلوقات هي الملائكة، ثم الحيوانات البحرية، ثم أنواع الطيور، ثم الهوام والحشرات[٦٨].

وفي نصّ توراتي آخر: ((ثمّ جَبَلَ الرَّبُّ الإِلـهُ آدَمَ من تُرَاب الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً))[٦٩].

وفي سفر التكوين أيضًا: ((إنكما تراب وإلى التراب ستعودان))[٧٠].

فالتكوين الأوّل من التراب والأخير بعودة الجسد إلى التراب وتحوّله إلى تراب.

المرحلة الثانية

الطين

وفي قوله: (سنّها بالماء) انتقل إلى المرحلة الثانية من مراحل خلق الإنسان، وهي مرحلة خلط التراب

بالماء حتى (لزبت)، وهو يوافق قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾[٧١].

وفي تفسير الرازي للطين قال: ((ويمكن أن يقال بأنّ الطين ماء وتراب مجتمعان والآدميّ أصله مني، والمني أصله غذاء، والأغذية إمَّا حيوانية، وإمَّا نباتية، والحيوانية بالآخرة ترجع إلى النباتية، والنبات وجوده بالماء، والتراب الذي هو طين))[٧٢]. وقال: ((وفيه وجوه أخر، وهو أن يكون المراد أنا خلقنا كل إنسان من طين لازب، وتقريره أن الحيوان إنما يتولد من المني ودم الطمث))[٧٣]، وهو لم يجانب الحقّ، ويبدو أنّه أخذ ذلك من أرسطو القائل بأنّ الجنين يتكون من أنّ المرأة تقدم لمني الرجل مادة يعمل عليها بمعنى آخر أنّ المني يقطع الحيض، والطب الهندي الذي يعد أيضاً أنّ الجنين نتاج المني والدم[٧٤].

ولازب من فرائد القرآن الكريم ((طين «لازب»، اللازب الملتزق بعضه ببعض بحيث يلزمه ما جاوره))[٧٥].

وكذلك في العهد القديم يؤكد على خلق الإنسان من طين: ((اُذْكُرْ أَنَّكَ جَبَلْتَنِي كَالطِّينِ، أَترجعنِي بعد إِلَى التُّرَابِ؟))[٧٦]، وفي السفر نفسه: ((أَنَا أَيْضًا مِنَ الطِّينِ تَقَرَّصْتُ))[٧٧]، وجاء في سفر الحكمة: ((وَهُوَ إِنَّمَا وُلِدَ مِنَ الطِّينِ مِنْ حِينٍ يَسِيرٍ))[٧٨] وفي قوله: ((نَحْنُ الطِّينُ وَأَنْتَ جَابِلُنَا، وَكُلُّنَا عَمَلُ يَدَيْكَ))[٧٩].

الخلقة الآدمية الأولى من طين. أما ذريّته فهم من نطفة أمشاج تكوّنت من الطين بحسب التسلسل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن

﴿سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[٨٠].

وقوله تعالى يفصّل فيه ذلك: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾[٨١]، كما جاء في تفسير السيد الطباطبائي: ((خلق به آدم من الطين ثم جعل النسل من النطفة))[٨٢].

وربما يكون الماء المذكور هو ماء الرجل يلتزق ببيضة المرأة فيصبح مادة لزجة، فبداية كلّ إنسان هي خلق أوّل؛ فالتراب هو بيضة المرأة، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[٨٣]، ولم يكن في خلق عيسى (عليه السلام) رجل ملقِّح وإنما بيضة المرأة فقط.

المرحلة الثالثة

مرحلة التخمير

ذكر ابن طاووس أنَّ الله تعالى أمر ملكاً بعجن طينة آدم (عليه السلام)، فخلط بعضها ببعض ثم خمّرها أربعين سنة ثم جعلها لازباً ثم جعلها حمأ مسنوناً أربعين سنة ثم قال للملائكة بعد عشرين ومئة سنة مذ خمّر طينة آدم إني خالق بشراً من طين»[٨٤].

فالمرحلة الثالثة مرحلة التخمير

وورد وصف تكوين الإنسان بشيء من التشبيه في قول أيّوب

في العهد القديم وهو يتوسّل بربّه قائلا: ((ألم تصُبّني كاللّبن وتخثّرني كالجُبْن؟))[٨٥]. والتخثّر كالتخمير، أمّا الدكتور نائيك فيرى أن هذه الآية من التوراة هي سرقة فعلية من أبي قراط وجالينوس[٨٦].

وفي تفسير قوله تعالى هل أتى: ((لإنسان هو آدم والحين أربعون سنة كان آدم جسدًا ملقى على باب الجنة))[٨٧].

المرحلة الرابعة

مرحلة نفخ الروح

«إنَّ أقصى حياة التراب بالماء والنبات، وما كان لسان حاله يبلغ في الأماني والإرادات إلى أن يكون بشراً نادراً وفطناً ماهراً وسلطاناً قاهراً ويسجد له الملائكة أجمعون... وهو كالفراش للأنعام حتى يبلغ إلى ما بلغ التراب إليه من النظام والتمام والإكرام والإنعام»[٨٨].

وفي هذه المرحلة بلغ المرحلة التي استحق لأجلها السجود، قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[٨٩]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[٩٠].

والأمر بالسجود كان لآدم - مع اختلاف التأويل في علّته - وهو ما يدلّ على أنّ المقصود هو الإنسان الأوّل آدم (عليه السلام) كما سيتبيّن لنا بأنّه المقصود بنفخ الروح إليه.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾[٩١].

ثم ينتقل إلى المرتبة الأعلى من مرحلة التكوين ليصل إلى الدلالات المكمونة. ومن النصّ الدلاليّ

التصاعدي بنى خطابه بالدلالة الدائريّة، فمن التراب إلى التراب سلسلة دلاليّة متصلة بدايتها بنهايتها من خلال التعبير الذي تبثّه الكلمات، نمى النص دائريًّا لعرض العظمة الربانيّة، فالإنسان تكوّن من أديم الأرض ومائها، فصوّره تعالى على أحسن تصوير ولا نعلم المدّة التي كانت بين مراحل الخلق، قال الإمام عليّ (عليه السلام) عنه: «لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ وَأَمَدٍ مَعْلُومٍ»[٩٢].

وكانت أعلى المراتب بعد (ثم) التي تفيد الترتيب مع التراخي، فانتقل إلى مرحلة أخرى (ثم نفخ فيها من روحه)، النفخ هو الذي بثّ فيها الحياة، وقد شبّه كاريل الإنسان بأنّه يشبه النافورة أو الشمعة، فهو عبارة عن خليّة تغذية وجودها يتوقّف على مجرى الغاز أو السائل[٩٣].

وهنا أضيفت الروح البشريّة لله، وهي إضافة كإضافة العبد لله، فنقول عبد الله، وإضافة البيت لله، فنقول بيت الله، ونصيبنا منها النفخة الربانيّة التي تتهيأ الأنسجة والخلايا لتلقي هذه النفخة في الشهر الثالث من الحياة الجنينيّة، وينتقل الخلق بهذه النفخة من حال إلى حال[٩٤]، قال تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[٩٥]، وبعد النفخة الروحيّة تتشكّل الصورة الحسنى، قال تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[٩٦]، ((ذا أذهان يجليها وفكر يتصرف بها)) والأذهان والفكر بعد النفخة الروحيّة أيضا، وهنا امتلك الإنسان

حريّة التصرف بعد امتلاكه للعقل والفكر بعد أن صار بأحسن تقويم، متكونًا من مادة تتمثّل بجسم وروح تجعله يحيا، ينمو ويتحرك ويأكل لكنّه لم يؤت عن علمها إلّا قليلا، فهو يعلم بأنّها تمنحه الحياة ولكنّه لا يعلم ولن يعلم مهما تعمّق في العلم؛ لكنّه امتلك الفكر الذي فيه يتفكّر بعظمة خالقه بمعرفة نفسه التي هي أحد تجلّيات عظمته، وصار تفكيره أعظم من عبادة سبعين سنة، «والأذهان قوى التعقل، ويجليها يحركها في المعقولات»[٩٧].

(وَفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا)، قال أرسطوطاليس: ((فأمَّا العقل نفسه، فقد يشبه أن يكون جنساً آخر من النفس ويكون هذا وحده، وقد يمكن أنّها تفارقه كما يفارق الأبديّ الفاسد، فأمَّا سائر أجزاء النفس، فظاهر من أمرها أنّها ليست مفارقة كما يدّعي القوم))[٩٨].

ومن ثمار النفخة الروحيّة بدأ عمل الجوارح بقوله (عليه السلام): «وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا، وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا، وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْأَذْوَاقِ وَالْمَشَامِّ، وَالْأَلْوَانِ وَالْأَجْنَاسِ، مَعْجُوناً بِطِينَةِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ»، فالتفرقة بين الحقّ والباطل لا تكون بغير العقل والفكر، والذوق لا يكون بلا لسان، والمشام لا تكون بلا أنف، والألوان لا يراها بلا عين، وكلّ ذلك حصل بعد نفخ الروح.

وفي سفر أيوب: ((قَدْ ذُبْتُ، لاَ إِلَى الأَبَدِ أَحْيَا، كُفَّ عَنِّي؛ لأَنَّ أَيَّامِي نَفْخَةٌ))، فالحياة عبارة عن النفخة الأولى.

وقال: ((ولكن ما دامت نسمتي فيَّ ونفخة الله في أنفي))[٩٩].

وقال: ((كل إنسان حي ليس سوى نفخة))[100].

«لأَنَّهُ جَهِلَ مَنْ جَبَلَهُ، وَنَفَخَ فِيهِ نَفْسًا عَامِلَةً وَرُوحًا مُحْيِيًا»[101].

فحياة الإنسان بوجود النفخة، فهي روحه، وهي الأوكسجين الذي يتنفّسه الإنسان، فالرّوح مأخوذة من الريح[102].

وفي كتاب أيوب آية لافتة حيث ينسب التكوين الآدمي لروح الله: ((رُوحُ الله هو الذي كونني وَنَسَمَةُ الْقَدِيرِ أَحْيَتْنِي))[103].

وفي القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾[104].

هذا العقل والإدراك الذي نحيا به من النفخة الربّانية: ((وَلكِنَّ الروح الذي فِي الإنسان، وَنَسَمَة الْقَدِيرِ تعطي الإنسان فهماً))[105].

أمَّا في بطن الأم، فيتشكّل أنف الجنين في الأسبوع الثامن من الحمل[106]. لكنه لا يتنفّس الهواء الجويّ إلّا عند خروجه من بطن أمه.

ويموت الإنسان بكتم نفَسِه، وقد ينقذ الطبيب مريضاً انقطع نفسه بإعادته إلى الحياة بنفخ الأوكسجين في فمه بعملية التنفّس الاصطناعي.

وفي القرآن الكريم دليل إمكانية الإحياء؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[107]، ويبدو أن النفخة لمخلوقين آدم وعيسى (عليهما السلام). أمَّا الجنين، فيستمد حياته من أمّه؛ لأنّ الجنين لا يتنفّس داخل الرحم، فهو يعتمد في تنفّسه على أمّه لتلقّي الأوكسجين، فكلّ نفس تأخذه الأم تنقل الأوكسجين إلى مجرى الدم وتحمل

المشيمة الأوكسجين إلى الحبل السرّيّ للطفل وعند خروجه من رحم أمّه يخضع الطفل لعملية انتقال جسدي معقّد ليتنفّس الهواء الجوّي خارج الرحم، فأثناء المخاض يتقلّص رحم الأم ويتراجع ويشعر الأم بأنّ الطفل قادم، وهذه الانقباضات تخرج السائل الأمنيوسي من رئة الطفل ممّا يعدّه للتنفّس، وطالما أنّ الطفل متّصل بأمّه عن طريق المشيمة عبر الحبل السرّي فليس من الضروري أن يحاول الطفل التنفّس حتى بعد لحظات من الولادة، فاستنشاقه الأوّل بمفرده يجلب الأوكسجين إلى مجرى دم الطفل دون مساعدة الأم للمرّة الأولى بعد أن تكوّن للطفل ٢٠ – ٥٠ مليون من الحويصلات الهوائية في رئة الطفل، وعند بلوغ الطفل ثماني سنوات يصبح لديه ٣٠٠ مليون مع نمو الرئتين[١٠٨]. ففي الرحم يستمدّ الحياة من روح أمه ثم ينفخ المَلكان فيه الروح عند خروجه.

وقد جعل الإمام عليّ (عليه السلام) الفكر هو المسؤول عن تصرفات الإنسان وأفعاله، يقول د. كاريل: ((الفكر ذلك الكائن العجيب الذي يعيش في أعماق ذاتنا من غير أن يستهلك أي قدر قابل للقياس من النشاط الكيميائي))[١٠٩].

ولم يتمكّن العلماء من فهم تكوين الإنسان، فهذا كاريل الحائز على جائزة نوبل في كتابه (الإنسان ذلك المجهول) يصرّح بعجزه قائلاً: ((وأنّ معرفتنا بأنفسنا ما زالت بدائية في الغالب))[١١٠].

ثم أردف قائلاً: ((ونحن لا نملك أيّ فنّ يمكننا من النفوذ إلى أعماق المخّ وغوامضه))[١١١].

الإنسان عند الولادة يكون محروماً من العلم الحصوليّ: ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً﴾[١١٢]، والله سبحانه وتعالى يزوّده بالوسائل لاكتساب العلم الحصوليّ من جانب: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١١٣]، ويلهم فطرته لينتفع من العلم الحضوريّ من جانب آخر: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[١١٤].

وقد شدّت الألفاظ بعضها بوزر بعض لترسم مشهد التكوين الأوّل للإنسان بأروع صورة؛ ألفاظه مقتبسة من القرآن الكريم، وما أوتي من علم مدينة العلم، فقد كان أوّل استعمال لكلمة الإنسان ينسجم مع بداية خلقه، وقد بيّن (عليه السلام) تفاصيل التكوين متسلسلة استناداً إلى ما ورد في القرآن الكريم ليتجه تصاعديًّا نحو تكوين الإنسان بأحسن تقويم، فيحقّ القول بأنّ عليًّا (عليه السلام) هو القرآن الناطق.

وقال في موضع آخر في خلق الإنسان: «اعْجَبُوا لِهَذَا الْإِنْسَانِ يَنْظُرُ بِشَحْمٍ وَيَتَكَلَّمُ بِلَحْمٍ وَيَسْمَعُ بِعَظْمٍ وَيَتَنَفَّسُ مِنْ خَرْمٍ»[١١٥].

ويوجد بين «شحم»، و«لحم»، و«عظم»، و«خرم»، أسجاع متناغمة متوازية أراد من خلالها تذكّر عظمة الباري في هذه الأعضاء فيتّعظ؛ لأنها من محالّ النظر والاعتبار، وهي آلة البصر والكلام والسمع والتنفّس[١١٦].

تحليل في كلمة النفخة

وردت كلمة نفخة في القرآن الكريم ١٨ مرة. أمّا نفخ الروح، فكان في ثمانية مواضع، لخلق

الطير والنفخة من عيسى (عليه السلام) قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ﴾[117]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي﴾[118].

ولم يذكر فيها الروح، وإنّما ذُكر النفخ فقط فتكون طيراً، فالنفخ صدر من النبي عيسى (عليه السلام) وليس من الروح – جبريل – أمَّا الروح البشريّة، فوردت في مشهدين؛ المشهد الأول في خلق آدم (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[119]، فقد ذكر الروح مضافة إلى ياء المتكلّم، وقصد به جبريل (عليه السلام).

أمَّا التفاسير، فمنهم من قال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ النفخ إجراء الريح في الشيء، والروح جسم لطيف أجرى الله العادة بأن يخلق الحياة في البدن مع ذلك الجسم، وحقيقته إضافة خلق إلى خالق، فالروح خلق من خلقه، وأضافه إلى نفسه تشريفًا وتكريمًا، كقوله: أرضي وسمائي وبيتي وناقة الله وشهر الله، ومثله: «وروح منه».

واعلم أن الشر لا ينتج من الروح مفردة، وإنما من اجتماعها بالبدن.

فالقرطبي لم يحدد هوية الروح النافخة بينما حدّدها البخاري بأنّها مَلَك، وهو يرى أن تحلّ الروح بدن الإنسان عن طريق المَلَك الموكّل بالأرحام بأمر من الله تعالى، كما في صحيح مسلم من حديث ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: حدثنا رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم] وهو الصادق المصدوق: {إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح...}[120]. فالمَلَك هو من ينفخ روحاً.

وقد أضاف الله تعالى الروح إلى نفسه إضافة تشريف وتكريم، كما تقول: بيت الله، وعبد الله، فكذلك روح الله، فروحنا تعني «جبريل (عليه السلام)، فهو من قام بنفخ الروح، وسوف يتجلّى هذا المعنى في المشهد الثاني.

أمَّا المشهد الثاني، ففي خلق عيسى (عليه السلام)، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَابْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[121] وقوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَٰنِتِينَ﴾[122]، لأنّه المرسل في قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[123].

وفيه كلمة الروح مضافة إلى (نا) المتكلمين، و(روح) المقصود هو

جبريل (عليه السلام)، فالمرسل هو جبريل (عليه السلام)، والذي نفخ الروح هو جبريل (عليه السلام) بأمر من الله تعالى، والذي نفخ الروح في آدم (عليه السلام) هو جبريل (عليه السلام)، وكلّ نَفَس منه يكون روحاً ((ومنهم الروح الأمين (عليه السلام).. وإنَّما سمّي روحاً؛ لأن كلّ نَفَس من أنفاسه يصير روحاً لحيوان.. ومنهم إسرافيل (عليه السلام) وهو نافخ الأرواح في الأجساد))[١٢٤]، فالملائكة الموكلين بالأرواح جبريل وإسرافيل.

وفيها ما يدلّ على أن ماء الرجل هو المكوّن للجنين، (وجعل نسله من ماء مهين). أمَّا روح الجنين، فهي من روح أمّه وأبيه، وليست كأبينا آدم الأوّل (عليه السلام) ،فكانت روحه من نفخة جبريلية ربانية، جاء في تفسير البرهان للبحراني: ((ثم يبعث الله ملكين خلاقين، يخلقان في الأرحام ما يشاء، فيقتحمان في بطن المرأة، من فم المرأة، فيصلان إلى الرحم، وفيها الروح القديمة المنقولة في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فينفخان فيها روح الحياة والبقاء، ويشقان له السمع والبصر، وجميع الجوارح، وجميع ما في البطن، بإذن الله تعالى))[١٢٥].

ولَّما لم يكن في تكوين عيسى رجل (عليه السلام) هيّأ الله تعالى جبريل لينفخ في مريم (عليها السلام) ليكون عيسى (عليه السلام)، فكان كأبينا آدم (عليه السلام)، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[١٢٦]، فخصّ النبي عيسى (عليه السلام) بروحٍ منه تعالى.

وجعل الزمخشري ضمير الهاء المضاف إلى الروح عائدًا إليه عزّ وجلّ: ((ودلَّ بإضافة الروح إلى ذاته على أنه خلق عجيب لا يعلم كنهه إلّا هو))[١٢٧]، فهو من الأمور الغيبية التي لا تدركها العقول.

وأرى أنّ الضمير في «وروح منه» يعود إلى جبريل (عليه السلام) بدليل قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾[١٢٨]، فيكون المعنى: (وكلمته ألقاها إلى مريم وروح من جبريل).

وقال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[١٢٩]، وهذه العبارة الزمخشرية «خلق عجيب لا يعلم كنهه إلّا هو» اقتبسها علماء الغرب الذين استولوا على التراث الإسلامي في بلدانهم، قال داروين عند حديثه عن طائر الكيوى الخاص بنيزيلاند والطهيوج الأحمر الخاص بإنكلترا: ((وأيضاً أنّه من المستحسن دائماً أن يستقرّ في الأذهان أنّه بكلمة «خلق»، فإن الخبير بعلم الحيوان يقصد عملية لا يعرف كنهها.. وهذا يعتبر دلالة أيضاً بهذه الطريقة المعبرة عن مثل هذا الجهل عن إيمانه بأنّ كلا من الطائر والجزر تدين بأصلها إلى سبب خلقي أوليّ عظيم))[١٣٠].

عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ

كتاب الله الصامت بلغ المقام الأسمى في فصاحته وتمام بيانه وعظيم جوهره، وقد شهد أرباب الفصاحة للإمام عليّ (عليه السلام) بأنّ كلامه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين، ومن دلائل الحديث النبويّ الشريف أنّ القرآن نزل في بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ إذ كان الإمام عليّ (عليه السلام) معه في البيت نفسه، ومن دلائل الحديث الشريف أنّ الصامت نزل في شهر رمضان الكريم، وهو الزمان عينه الذي عرجت فيه روح القرآن الناطق، فامتزجت صفات القرآن الناطق بالقرآن الصامت، فكلاهما مع بعض، ويتجلّى معنى قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إنّي تاركٌ فيكم ما إن تمسَّكتُم به لن تضلُّوا بعدي: كتاب الله، حبْلٌ ممدودٌ من السَّماء إلى الأرض، وعِترتي أهل بيتي، ولن يتفرَّقا حتى يرِدَا عليَّ الحوضَ، فانظروا كيف تَخلُفوني فيهما»[131].

وطالما أنّ النصوص تضافرت على التلازم بين القرآن وعلي (عليه السلام)، والحقّ أنَّ هناك من يحتاج إلى هذا الحقّ، وآلية الوصول إليه تكون عبر الحوار الذي أرسى علي (عليه السلام) أسسه ومارسه عمليًّا عبر العديد من المواقف التاريخية.

وفي نهج البلاغة يقول: «لِمَا أَرَادَ كَوْنَهُ: كُنْ فَيَكُونُ، لا بِصَوْتٍ يَقْرَعُ وَلا بِنِدَاءٍ يُسْمَعُ وَإِنَّمَا كَلاَمُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ وَمَثَّلَهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذلِكَ كَائِناً وَلَوْ كَانَ قَدِيماً لَكَانَ إِلهاً ثَانِياً»[132]؛ وهو يتوافق مع ما توصّل إليه بحثنا عن كلام الله[133]

بأنّه من الغيبيات، وليس كما يقول بعضهم بأنّ لغته عربيّة.

ولم تبتعد الدراسات الحديثة التي أجراها علماء قضوا حياتهم في الدراسة والبحث في علم الإنسان وحياته، يقول الدكتور كاريل في وصفه للإنسان: ((ويتكون الكلّ من الأنسجة والسوائل العضويّة والشعور، وهو ينتشر في الفراغ وفي الزمن في وقت واحد... الشعور كائن بداخل المادّة المخيّة))[١٣٤].

ووضع العلماء نظريات عن بداية خلق الإنسان يخالف بعضها ما جاء في الكتب السماويّة، وما قاله الإمام عليّ (عليه السلام) في خطبته، ولا سيّما من كان بعيداً عن الإيمان من الملحدين وغيرهم؛ فضلّ بمزاعمهم الكثير، فقالوا: إنّهم وجدوا رفاتاً قد يصل عمرها إلى أكثر من مليون سنة، وآمن آخرون بأنّهم أولاد القرد، أو النيدرتال أو أي شيء يخالف ما آتاهم به الله تعالى، ليعبّروا عن نكرانه، فقال الله تعالى: ﴿قُتِلَ الإنسان مَا أَكْفَرَهُ﴾[١٣٥] فوضّح الإمام عليّ (عليه السلام) مراحل الخلقة الأولى كما يوضّح الطبيب لطلابه مراحل تكوّن الإنسان في بطن أمّه، والطالب على يقين ممّا يقوله الطبيب، ولولا رؤيته لشهور حمل المرأة لما صدّق، وهو على يقين أيضاً بالصفات الوراثيّة المنتقلة من الأبوين إلى المولود، كما نقلت صفات التربة إلى المخلوق الأوّل فكان الأسمر والأبيض والأحمر.

وجوابنا عن ذلك، هو أنّ العلماء لا يعرفون تاريخ خلق النبي آدم (عليه السلام) أو المخلوق الأوّل، ثانياً يميّز بعض العلماء بين بني آدم والبشر بأنّهم ليسوا واحدًا، فالبشر يسبق آدم (عليه

السلام) وهناك روايات كثيرة أخرى لا يسع المقام لذكرها.

إنّ إمكانيّة نقل مشهد الصورة الأولى ليست من الممكنات، فالكلمات مهما وصفت قد تعجز أحياناً بنقل الصورة الحيّة غير المكرّرة، كالحمل الذي تتكرر مراحل تكوين الجنين فيه، فخلقة آدم (عليه السلام) لم تتكرر إلّا مرة واحدة، ولم تكن متطابقة تماما، فقد خلق عيسى (عليه السلام) في رحم امرأة، لكنّا قد نستشف من جعل الماء علّة لكلّ شيء حيّ بالتفكر في خلق النبات الذي ينبت من الطين اللازب ويحيا بالماء وله عمر محدّد وأيّام معدودة، يموت الزرع بعدها ويجفّ ويعود إلى الأرض التي خرج منها، قال الإمام (عليه السلام): «وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَنْكَرَ النَّشْأَةَ الأُخْرَى، وَهُوَ يَرَى النَّشْأَةَ الأُولَى»[١٣٦]، فقد خلق الإنسان وهو لا يحب المجهول، فالناس أعداء ما جهلوا، وأكثر ما يجهله الإنسان روحه التي بين جنبيه، وَقَالَ (عليه السلام): «مَا لِابْنِ آدَمَ وَالْفَخْرِ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ وَآخِرُهُ جِيفَةٌ وَلَا يَرْزُقُ نَفْسَهُ وَلَا يَدْفَعُ حَتْفَهُ»[١٣٧].

ثانيًا: من كلام له (عليه السلام) وفيه أساليب حوار القرآن الناطق:

استعمل الإمام علي (عليه السلام) أساليب الحوار القرآنية التي يعجز عن إدراكها من لم يتدبّر كتاب الله عزّ جل، وقد كان الإمام عليّ (عليه السلام) يفكّر خارج حدود عالمه المرئي، هو يغوص في بحر الكلمات القرآنية، ويحملها كالسيف يقطع بها دابر القوم الذين ظلموا، يقطع دابر الذين كذبوا وما كانوا مؤمنين.

قال عند تلاوته: ﴿يا أَيُّهَا الإنسان ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾[١٣٨] قال:

«أَدْحَضُ مَسْئُولٍ حُجَّةً وَأَقْطَعُ مُغْتَرٍّ مَعْذِرَةً لَقَدْ أَبْرَحَ جَهَالَةً بِنَفْسِهِ يَا أَيُّهَا الإنسان مَا جَرَّأَكَ عَلَى ذَنْبِكَ وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ وَمَا أَنَّسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ»[١٣٩]، وفي توضيح كلامه جاء في شرح مفردات نهج البلاغة: ((فأي شيء جعلك تستأنس بما تهلك به نفسك؟! والاستفهامات على سبيل التقريع والتوبيخ عن سبب جرأة الإنسان وإقدامه على المعصية))[١٤٠].

فهو استفهام قرآني موجّه لكلّ من تغرّه الدنيا، وهو استفهام صامت نطقه الإمام علي (عليه السلام)، فتضافر الصامت لينطق الناطق في وجه المغترّ على سبيل الحوار.

والحوار أخصّ من الكلام والخطابة، ويشمل المحادثات بين الطرفين التي يتوقّع منه ردّ فعل من المتلقي[١٤١] ووردت كلمة الحوار في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[١٤٢]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾[١٤٣]، فالحوار وقع بين مؤمن وكافر، جاء في تفسير الزمخشري: ((أي خلق أصلك، لأنّ خلق أصله سبب في خلقه، فكان خلقه خلقاً له، (سَوَّاكَ): عدلك وكملك إنساناً ذكراً بالغاً مبلغ الرجال، جعله كافراً بالله جاحداً لأنعمه لشكّه في البعث، كما يكون المكذب بالرسول صلى الله عليه [وآله] وسلم كافرًا))[١٤٤].

والحوار تبادل حديث يجعل المعلومات مترامية بين المتحاوِرَين ولكلّ هدف، وكان هدف الإمام علي (عليه السلام) الدفاع عن الحقّ وعدم

السكوت والخضوع للباطل.

فقد واكبت أقواله (عليه السلام) القرآن الكريم؛ ولما تعدّدت دلالة الإنسان في القرآن الكريم فإنّه استعملها بالمعاني القرآنيّة، فظهر من حواره (عليه السلام) مع معاوية أنّه لا يوافق الباطل وهو القائل: «كَثْرَةُ الوِفاقِ نِفاقٌ»(١٤٥).

وعند تتبع الآيات التي ورد فيها لفظ الإنسان في القرآن الكريم كانت على ضربين:

الأوّل: الذي ذكرناه أوّلا في ترتيب خلق الإنسان في رحم أمّه.

الثاني: الذكر الثاني للفظ الإنسان في القرآن الكريم، ومعظمه وصف بالضعف، واليأس، والكفر، والخصام، والعجلة، والجدل، ومنه على سبيل المثال قوله تعالى:

﴿يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنسانُ ضَعِيفًا﴾(١٤٦).

﴿وَإِذَا مَسَّ الإنسان الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا﴾(١٤٧).

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإنسان مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ﴾(١٤٨).

﴿إِنَّ الإنسان لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾(١٤٩).

﴿خَلَقَ الإنسان مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾(١٥٠).

﴿وَكَانَ الإنسان أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾(١٥١).

ومنه قوله تعالى المستهل بالاستفهام الإنكاري عن سبب غرور الإنسان، وهو الاستفهام الذي وجهه الإمام عليّ (عليه السلام) إلى معاوية بن أبي سفيان، وينقل محمّد الريشهري عند شرحه لقول الإمام عليّ (عليه السلام) عن معاوية: «في الزبور: ابن آدم! لما رزقتكم اللسان وأطلقت لكم الأوصال ورزقتكم الأموال، جعلتم الأوصال كلّها عونًا

على المعاصي، كأنّكم بي تغترون، وبعقوبتي تتلاعبون»[١٥٢].

فقد ذكر المفسّرون بأنّ المخاطب في القرآن الكريم في الآية المذكورة من سورة الانفطار الكافر بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ**﴾، فقد ذكر الطبري في تفسير الآية الكريمة: ((يا أيّها الإنسان الكافر))[١٥٣]، لقوله من بعد ذلك: (كلا بل تكذبون بالدين)[١٥٤].

وقال الزمخشري: ((قلت معناه إنّ حقّ الإنسان أن لا يغترّ بتكرّم الله عليه، حيث خلقه حياً لينفعه، وبتفضله عليه بذلك حتى يطمع بعدما مكّنه وكلّفه فعصى وكفر النعمة المتفضّل بها أن يتفضّل عليه بالثواب وطرح العقاب، اغترارًا بالتفضّل الأوّل، فإنّه منكر خارج من حدّ الحكمة، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم لما تلاها. «غرّه جهله»))[١٥٥].

فقوله: (مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) المراد الذي خدعك وسوّل لك الباطل حتى تركت الواجبات وأتيت بالمحرمات، والمعنى ما الذي أمنك من عقابه، يقال: غرّه بفلان إذا أمنه المحذور من جهته مع أنّه غير مأمون[١٥٦].

إنّ الذي غرّ الإنسان المذكور في الآية الكريمة هو الشيطان: ((قال قتادة: غرّه شيطانه المسلَّط عليه))[١٥٧].

فقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ**﴾ ((استفهام توبيخي يوبّخ الإنسان بكفران خاص لا عذر له يعتذر به عنه؛ وهو كفران نعمة رب كريم، وليس للإنسان أن يجيب فيقول أي ربّ

غرّني كرمك فقد قضى الله سبحانه فيما قضى وبلغه بلسان أنبيائه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[١٥٨]، وقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾[١٥٩]، إلى غير ذلك من الآيات التي تنصُّ على أن لا مخلص للمعاندين من العذاب، وأنّ الكرم لا يشملهم يوم القيامة، ولو كفى الإنسان العاصي قوله غرّني كرمك لصرف العذاب عن الكافر المعاند كما يصرفه عن المؤمن العاصي، ولا عذر بعد البيان. ومن هنا يظهر أن لا محل لقول بعضهم: إنّ توصيف الرب بالكريم من قبيل تلقين الحجّة، وهو من الكرم أيضاً. كيف؟ والسياق سياق الوعيد والكلام ينتهي إلى مثل قوله: ﴿إِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ * وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾))[١٦٠].

وهذا يوضّح لنا مخاطبة الإمام عليّ (عليه السلام) لمعاوية بتسميته الإنسان من كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية جوابا، وهو من محاسن الكتب، قال (عليه السلام):

«أَلاَ تَرْبَعُ أَيُّهَا الإنْسَانُ عَلَى ظَلْعِكَ، وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ، وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخَّرَكَ الْقَدَرُ! فَمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ الْمَغْلُوبِ، وَلاَ لَكَ ظَفَرُ الظَّافِرِ! وَإِنَّكَ لَذَهَّابٌ فِي التِّيهِ، رَوَّاغٌ عَنِ الْقَصْدِ»[١٦١].

وقد قصد بالإنسان هنا معاوية أيضًا، نلحظ أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد أن ذكر مراحل خلق الإنسان خاطب عدوّه بصفة الإنسان في أكثر من موضع، وقال (أَلَا تَرْبَعُ أَيُّهَا الإنسان) أي ألا ترفق بنفسك وتكف، ولا تحمل عليها ما لا تطيقه،

والظلع مصدر ظلع البعير يظلع أي غمز في مشيه[١٦٢]، ((واستعار لفظ الظلع لقصوره بتشبيهه بالبعير الظالع الذي لا يطيق أن يحمل حملاً ثقيلاً، ووجه المشابهة عدم اللحاق برتبة السابقين في الفضل، كقصور الظالع عن شأو الظليع، وأردفها بكناية قصور ذرعه عن قصور استعداده وعجزه في الوصول إلى تلك المرتبة، إذ أخّره القدر لهبوط مستواه عن مستوى السابقين؛ فلست مهاجراً ولا ذا قدم في الإسلام، وقد أمره بالتأخر فيها والوقوف عندها تقريعًا وتوبيخًا له، فصاغ من تلك الصور الخيالية إيقاعًا جميلًا من خلال سجع الجملتين المتوازنتين المترابطتين بإحكام وقوّة))[١٦٣].

فهو يحدّث من تسلّم الحكم وهو يمثل النظام الفاسد والشجرة الملعونة التي خرجت عن الدين الحنيف والرسالة المحمديّة أي معاوية، الذي كان يتخلّص من خصومه بأن يقتلهم بغدر ووحشيّة، كما قتل الصحابي عمار بن ياسر (رضوان الله عليه)، وقد تعددت الأوصاف السيئة التي وصفها أمير المؤمنين (عليه السلام) لمعاوية، فقال: «وَاللهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ وَلَوْ لَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ وَلَكِنْ كُلُّ غُدَرَةٍ فُجَرَةٌ وَكُلُّ فُجَرَةٍ كُفَرَةٌ وَلِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ وَلَا أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ»، ومن هنا ثار الإمام عليّ (عليه السلام) ليضع في خلافته وحتى قبلها موازين المجتمع الإنساني الاجتماعي القائم على المساواة والعدل، وأصبحت دعوته

التي قالها لعامله في مصر: ((الناس صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق)) من أهم المقولات التي سبقت الأمم والزمان في عظمة حديث الإمام (عليه السلام)، ولتكن هذه المقولة هي المحور الإنساني الذي تدور عليه الإنسانيّة منذ بدء الخليقة وإلى وقتنا الحاضر، وكانت بحق من الأفكار التي يقف المرء عليها طويلاً ويفكر عندها بالتفكير العميق، ونأتي لهذه المقولة العظيمة وننظر: هل كانت مجرد حديث من دون تطبيق عملي؟ الجواب بالعكس؛ إذ نجدها واضحة جليّةً عند أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقد كان يقرن القول بالفعل.

الخاتمة

قد لا يصحّ أن نسمي أسطرنا الأخيرة بالخاتمة؛ لأنّ البحث في درر الإمام عليّ (عليه السلام) لا خاتمة له، فبعد التبحّر باستعمال الإمام عليّ (عليه السلام) للفظة الإنسان يمكن أن نلخص نتائج البحث على النحو الآتي:

أوّلاً: مصداقًا لقوله: «علي هو القرآن الناطق»، فقد تعدّدت دلالة كلمة (الإنسان) كما تعددت دلالتها في القرآن الكريم، فهو المخلوق الذي يدلّ على عظمة خالقه، فكان أوّل استعمال للفظة الإنسان في خطبة للإمام عليّ (عليه السلام) بيّن فيها مراحل تكوّن الإنسان بدقة بالغة لبيان عظمة الخالق، وأنّ من عرف نفسه فقد عرف ربّه.

أمّا الاستعمال الثاني، فكان مخاطباً به معاوية، وهو موافق لوصف القرآن الكريم للإنسان بتوبيخ غروره وتكبره وعجلته وكفره.

وتبيّن من خلال البحث المستوى البلاغي لهذا الكتاب، ومدى التعمّق المائز للإمام عليّ (عليه السلام) في تدبّر الألفاظ القرآنيّة ويكشف أيضًا عن مدى استيعاب الإمام (عليه السلام) للغة وبواطنها.

وخير ما أختم به البحث المتواضع ذكر الصلاة على محمّد وآل محمد.

الهوامش:

١- الامام عليّ: نهج البلاغة: ٢/ ١٤.

٢- يس: ٧٧.

٣- الإنسان: ١.

٤- المؤمنون: ١٢- ١٥.

٥- هود: ٩.

٦- موسوعة العقائد الإسلامية: ٣/ ٩٠: ٢٩.

٧- انظر: الإنسان ذلك المجهول: ٧.

٨- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس: ١/ ١٤٥.

٩- مقاييس اللغة، مادة (جنّ): وانظر: بحث الأصل المشترك للغات، دراسة دلاليّة مقارنة بين القرآن الكريم والأديان السماويّة د. زهور كاظم زعيميان: ص ١٣٤/ http://mohamedrabeea.net/library/pdf/5c93422b-75dc-4a12-afe0-2772f97af7d6.pdf.

١٠- انظر الإنسان حكمة الروح والجسد: ٢٩.

١١- طه: ١٠.

١٢- شرح مفردات نهج البلاغة: ٤٠٨.

١٣- نهج البلاغة: ٣/ ١٢٨.

١٤- نهج البلاغة- خطب الإمام علي: ٢/ ٢٢١.

١٥- شرح مفردات نهج البلاغة: ٤٠٩- ٤١٠.

١٦- نهج البلاغة، خطب الإمام علي: ١/ ٤١.

١٧- شرح مفردات نهج البلاغة: ٤٠٩.

١٨- نهج البلاغة: ٢/ ٢٠٧.

١٩- شرح مفردات نهج البلاغة: ٤١١.

٢٠- الكهف: ٥٤.

٢١- الكهف: ٥٦، لسان العرب، مادة (أنس): ٦/ ١٠.

٢٢- انظر: المصدر والصفحة نفسها.

٢٣- التعريفات، للجرجاني: مادة (إنسان).

٢٤- التعريفات: للجرجاني: مادة (منطق).

٢٥- الأنبياء: ٦٣.

٢٦- المرسلات: ٣٥.

٢٧- الكشاف، للزمخشريّ: ٦/ ١٩٠.

٢٨- طه: ١٠٨.

٢٩- لسان العرب، مادة (همس): ٩٢: ١٥.

٣٠- وقد عرض برنامج (الحياة بعد الحياة العشرات من الحالات للعائدين من الموت الوشيك يمكن مشاهدة الحلقات على قناة الكوثر:

https://www.alkawthartv.ir/category/2266

٣١- أساس البلاغة للزمخشري: ١/ ٢٢.

٣٢- شرح مفردات نهج البلاغة: ١٨٢.

٣٣- من الكتاب ٣١ من نهج البلاغة نقلا من: شرح مفردات نهج البلاغة: ٢٩٤.

٣٤- انظر: لسان العرب: مادة (أنس).

٣٥- انظر: شرح مفردات نهج البلاغة: ٤٠٦.

٣٦- انظر: لسان العرب، مادة (أنس): ٦/ ١٠- ١١.

٣٧- كتاب فيه لغات القرآن: ١٤٩.

٣٨- البحر المحيط: ٦/ ٥٠٢.

٣٩- جامع البيان للطبري: ١٩/ ٢٧٩.

https://islamweb.net/ar/library/index.php?page=bookcontents&ID=3597&bk_no=50&flag=1

٤٠- الفرقان: ٤٩.

٤١- أساس البلاغة للزمخشري: ١/ ٢٢.

٤٢- يونس: ٢.

٤٣- الكشاف: ٤٥٥.

٤٤- انظر: شرح مفردات نهج البلاغة: ٤١٤.

٤٥- الرحمن: ١٠.

٤٦- لسان العرب: مادة (أنم).

٤٧- انظر: الكشاف: ١٠٧٠.

٤٨- المعجم الوسيط: مادة (ناس).

٤٩- انظر: اشتقاق أسماء الله: ٢٤.

٥٠- بداية الخطبة ١٥٩.

٥١- الإنسان ذلك المجهول: ١٨.

٥٢- الكافي، الشيخ الكليني: ١/ ٢٣.

٥٣- نهج البلاغة: الشيخ محمّد عبده: ٢١.

٥٤- الذاريات: ٢٠- ٢١.

٥٥- سنن الترمذي (٥/ ٥٤) (٢٩٥٥)، سنن أبي داود (٧/ ٧٨) (٤٦٩٣)، تحفة الأحوذي (٨/ ٢٣٣).

٥٦- الكهف: ٣٧.

٥٧- الحج: ٥.

٥٨- نهج البلاغة: ١/ ١٤٣.

٥٩- لسان العرب، مادة (دهق).

٦٠- لسان العرب: مادة (دهق).

٦١- نهج البلاغة: ١/ ١٠٣.

٦٢- نهج البلاغة: ٢/ ٣٣٨.

٦٣- هامش الصفحة نفسها.

٦٤- انظر: القرآن الكريم والكتاب المقدس في ضوء العلم، مناظرة عامة بين ذاكر نائيك ود. ويليام كامبل، ٢٠٠٠: ١١.

٦٥- انظر: المصدر نفسه: ١٢.

٦٦- انظر: القرآن والكتاب المقدّس في ضوء العلم مناظرة بين وليام كامبل والدكتور نائيك: ٤٧.

٦٧- الكتاب المقدّس الدراسيّ: سفر التكوين ١ ص ٩- ١٠.

٦٨- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات: ٥٠.

٦٩- الكتاب المقدّس الدراسيّ: سفر التكوين: ٢ ص ١١.

٧٠- التكوين: ١٩:٣.

٧١- الصافات: ١١.

٧٢- تفسير مفاتيح الغيب، التفسير الكبير/ الرازي (ت ٦٠٦هـ): ٢٦/ ١٢٥.

٧٣- المصدر والصفحة نفسها.

٧٤- انظر: القرآن والكتاب المقدّس والعلم مناظرة: ١٦.

٧٥- تفسير الميزان- السيد الطباطبائي: ١٧/ ١٢٥.

٧٦- كتاب أيوب: ١٠/ ٩.

٧٧- كتاب أيوب: ٣٣/ ٦.

٧٨- الحكمة: ١٥/ ٨.

٧٩- إشعياء: ٦٤/ ٨.

٨٠- المؤمنون/ ١٢- ١٤.

٨١- السجدة: ٧- ٩.

٨٢- الميزان: ١٥/ ١٩.

٨٣- آل عمران: ٥٩.

٨٤- انظر: سعد السعود: ٣٣.

٨٥- كتاب أيوب: ١٠/ ١١.

٨٦- انظر: القرآن والكتاب المقدّس في ضوء العلم: ٨٦.

٨٧- أبي آدم عبد الصبور شاهين: ٩.

٨٨- سعد السعود: ٢٥- ٢٦.

٨٩- الحجر: ٢٩.

٩٠- ص: ٧٢.

٩١- الأعراف: ١١.

٩٢- نهج البلاغة: ١/ ٢٠.

٩٣- انظر: الإنسان ذلك المجهول ٧٧.

٩٤- انظر: الإنسان حكمة الروح والجسد: ٣٨.

٩٥- المؤمنون: ١٤.

٩٦- التغابن: ٣.

٩٧- هامش: نهج البلاغة: الشيخ محمّد عبده، دار الكتب العلميّة، بغداد: ٢١.

٩٨- انظر: الفوز الأصغر، مسكويه: ٤٣.

٩٩- أيوب: ٢٧/ ٤.

١٠٠- المزامير: ٣٩/ ٦.

١٠١- الحكمة: ١٥/ ١١.

١٠٢- انظر: بحث دلالة الروح والنفس، د. زهور كاظم زعيميان، مجلة الذكوات البيض، ٢٠٢٣.

١٠٣- كتاب أيوب: ٣٣/ ٤.

١٠٤- الأعراف: ١١.

١٠٥- كتاب أيّوب: ٣٢/ ٨.

١٠٦- انظر:

https://www.mayoclinic.org/ar/healthy-lifestyle/pregnancy-week-by-week/in-depth/prenatal-care/art-20045302.

١٠٧- المائدة: ٣٢.

١٠٨- https://www.youm7.com/4309836

١٠٩- الإنسان ذلك المجهول: ٩٨.

١١٠- الإنسان ذلك المجهول: ١٤.

١١١- الإنسان ذلك المجهول: ١٧.

١١٢- الحج: ٣٦.

١١٣- الحج: ٣٦.

١١٤- تفسير تسنيم: ٢/ ٢٧٢.

١١٥- نهج البلاغة: الحكم الحكمة ٨.

١١٦- انظر: شرح مفردات نهج البلاغة: ١/ ٤١٦.

١١٧- آل عمران: ٤٩.

١١٨- المائدة: ١١٠.

١١٩- ص: ٧٢.

١٢٠- أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣) باختلاف يسير.

١٢١- الأنبياء: ٩١.

١٢٢- التحريم: ١٢.

١٢٣- مريم: ١٧.

١٢٤- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات: ٥٦.

١٢٥- https://www.altafsir.com/Tafasir.asp?tMadhNo=4&tTafsirNo=110&tSoraNo=23&tAyahNo=13&tDisplay=yes&UserProfile=0&LanguageId=1

١٢٦- النساء: ١٧١

١٢٧- https://www.altafsir.com/Tafasir.asp?tMadhNo=1&tTafsirNo=2&tSoraNo=32&tAyahNo=8&tDisplay=yes&UserProfile=0&LanguageId=1

١٢٨- مريم: ١٧- ٢١.

١٢٩- آل عمران: ٥٩.

١٣٠- أصل الأنواع، داروين: ٤٤- ٤٥.

١٣١- أخرجه الترمذي (٣٧٨٨).

١٣٢- شرح نهج البلاغة: ١٣/ ٨٢.

١٣٣- التحليل اللغوي لمحنة خلق القرآن التي حصلت في زمان الإمام علي الهادي (عليه السلام) وقوله فيها: ٢٣٠. (http://tasleem.alameedcenter.iq/index.php?res=7).

١٣٤- الإنسان ذلك المجهول: ٥٧.

١٣٥- عبس: ١٧.

١٣٦- نهج البلاغة: ٤/ ٣٠.

١٣٧- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٠/ ١٥٠.

١٣٨- الانفطار: ٦.

١٣٩- الخطبة: ٢٢٣.

١٤٠- شرح مفردات نهج البلاغة: ٤١٠.

١٤١- انظر: الحوار في كلام أمير المؤمنين، د. أنسية الخزعلي، جامعة الزهراء- طهران: ١.

١٤٢- الكهف: ٣٤.

١٤٣- الكهف: ٣٧.

١٤٤- الكشاف: ١٥/ http://www.aleman.com/%D8%AA%D9%81%D8%B3%D9%8A%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D8%B2%D9%85%D8%AE%D8%B4%D8%B1%D9%8A/%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%87%D9%81/t20&s18&p22?d-2619820-p=7

١٤٥- غرر الحكم للأنصاري: ٢/ ٥٦١.

١٤٦- النساء: ٢٨.

١٤٧- يونس: ١٢.

١٤٨- هود: ٩.

١٤٩- إبراهيم: ٣٤.

١٥٠- النحل: ٤.

١٥١- الكهف: ٥٤.

١٥٢- ميزان الحكمة، محمّد الريشهري: ٣/ ٢٢٣٥.

١٥٣- انظر: تفسير جامع البيان، للطبري: ٢٤/ ٢٧٠، وانظر: التفسير الكبير للرازي: ٣١/ ٧٣، والبحر المحيط، للأندلسي: ٨/

٤٣٦، وروح المعاني: للآلوسي: ٣٠/ ٦٤.
١٥٤- التفسير الكبير للرازي: ٣١/ ٧٣.
١٥٥- الكشاف، للزمخشري: ٦/ ٣٣٠.
١٥٦- مفاتيح الغيب، للرازي: ٣١/ ٧٣.
١٥٧- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ١٩/ ٢١١.
١٥٨- إبراهيم: ٧.
١٥٩- النازعات ٣٧- ٣٩.
١٦٠- الميزان، للسيّد الطباطبائي: ٢٠/ ٢٢٤.
١٦١- نهج البلاغة: الشيخ محمّد عبده، دار الكتب العلميّة، بغداد: ٣/ ٣١.
١٦٢- شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ١٥/ ١٩٢.
١٦٣- شرح مفردات نهج البلاغة: ١/ ٤١٦.

المصادر

القرآن الكريم

١. أساس البلاغة: جار الله، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمّد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، (ت ٥٣٨هـ) تحقيق: محمّد باسل عيون السود، دار الكتب العلميّة.

٢. اشتقاق أسماء الله: لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت ٣٤٠هـ) تحقيق: عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت- لبنان، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٣. أصل الأنواع، نشأة الأنواع الحيّة عن طريق الانتقاء والاحتفاظ بالأعراق المفضّلة في أثناء الكفاح من أجل الحياة: تشارلز داروين، ترجمة: مجدي محمود المليجي، تقديم سمير حنا صادق، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤م.

٤. الإنسان حكمة الروح والجسد، تأويل المعاني والدلالات: د. عليّ محمّد بد الله، ط ١، جمهوريّة مصر العربيّة، ٢٠١٨.

٥. الإنسان ذلك المجهول: (كتب الجوائز العالميّة)، الدكتور أليكس كاريل (الحائز على جائزة نوبل). ترجمة: عادل شفيق.

٦. بحار الأنوار: الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: المجلسي- محمّد باقر (ت ١١١١هـ) دار إحياء الكتب الإسلاميّة.

٧. البحر المحيط: أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي الغرناطي، وبهامشه النهر الماد من البحر وكتاب الدر اللقيط من البحر المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.

٨. تحفة الأحوذي: شرح جامع الترمذي: الإمام الحافظ أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت ١٣٥٣هـ)، تحقيق: عماد زكي البارودي، المكتبة الوقفية.

٩. التعريفات: للجرجاني، ضبط وتصحيح جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٨٣م.

١٠. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): الرازي- فخر الدين الرازي الطبرستاني

(ت ٦٠٤هـ) ط١، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
١١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربيّة والإسلاميّة بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة، ط١، القاهرة، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
١٢. الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، أبو عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ)، دار إحياء الفكر.
١٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الآلوسي- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.
١٤. سعد السعود: رضي الدين أبو القاسم عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن طاووس الحسني الحسيني (ت ٦٦٤هـ) ط١، المطبعة الحيدريّة، النجف، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م.
١٥. سنن الترمذي: الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
١٦. شرح مفردات نهج البلاغة: السيد جعفر باقر الحسيني، مكتبة الروضة الحيدرية، ط١، قم مؤسسة بوستان، ١٤٣١ق- ١٩٣٨ش.
١٧. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ابن أبي الحديد، دار الأمير، بيروت، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
١٨. صحيح البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وسننه وأيامه، أبو عبدالله بن أبي الحسن، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه، الجعفي مولاهم، البخاري (ت ٢٥٦هـ).
١٩. صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري الناشر: دار الجيل - بيروت.

٢٠. عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات: زكريا بن محمد بن محمود الكوفي القزويني (ت ٦٨٢هـ)، تحقيق: على صراط الحقّ ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٢١. غرر الحكم ودرر الكلم: محمد علي الأنصاري، جاب هشتم، طهران.

٢٢. الفوز الأصغر: للشيخ أبي على أحمد المعروف بابن مسكويه (ت ٤٢١هـ) مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٥هـ.

٢٣. القرآن الكريم والكتاب المقدس في ضوء العلم، مناظرة عامة بين ذاكر نائيك ود. ويليام كامبل: ٢٠٠٠م.

٢٤. الكافي: لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط١، ردمك، طهران، بازار سلطاني ١٣٦٣.

٢٥. الكتاب المقدس الدراسي: مقالات وموضوعات ومداخل دراسيّة مع النصوص الكتابيّة الكاملة القاهرة - مصر، ٢٠١١م.

٢٦. كتاب فيه لغات القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت ٢٠٧هـ) ضبطه وصححه: جابر بن عبد الله السريع ١٤٣٥هـ.

٢٧. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ) ، ط١ مكتبة العبيكان ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٢٨. لسان العرب: محمّد بن مكرم بن على، ابن منظور- أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ) دار صادر، بيروت.

٢٩. معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، لبنان- بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م .

٣٠. موسوعة العقائد الإسلامية: محمد الريشهري، مساعدة: رضا برنجار، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث، ط١،

١٤٢٥هـ- ١٣٨٣ش.

٣١. ميزان الحكمة، محمّد الريشهري، دار الحديث- قم، ١٤٢٢هـ.

٣٢. الميزان في تفسير القرآن: طباطبائي، محمّد حسين، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٣٣. نهج البلاغة: الشيخ محمّد عبده، دار الكتب العلميّة، بغداد.

البحوث

١. الأصل المشترك للغات، دراسة دلالية مقارنة بين القرآن الكريم والأديان السماوية د. زهور كاظم زعيميان، ص ١٣٤/

http//mohamedrabeea.net/library/pd-f/5c93422b-75dc-4a12-afe0-2772f97af7d6.pdf

٢. التحليل اللغوي لمحنة خلق القرآن التي حصلت في زمان الإمام علي الهادي (عليه السلام) وقوله فيها: د. زهور كاظم زعيميان ٢٣٠.

http//tasleem.alameedcenter.iq/index.(php?res=7

٣. الحوار في كلام أمير المؤمنين: د. أنسية الخزعلي، جامعة الزهراء- طهران (https:// arabic.balaghah.net/sites/default/files/file/002_1.pdf).

٤. دلالة الروح والنفس: د. زهور كاظم زعيميان، مجلة الذكوات البيض، ٢٠٢٣.